

## تقديم

### للدكتور عادل حسن غنيم

#### رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

يسرني أن أقدم إلى القارئ العربي هذا البحث الهام الذي ألفه الصديق "محمد غالب بركات" أحد أعضاء الجمعية، ومن أصحاب النشاط الثقافي العام خاصة في مجال الصحة النفسية والإرشاد النفسى.

وكما يتضح من سيرته الذاتية، فقد سبق أن قام بتحقيق عدد من المخطوطات الهامة، كما أنه نموذج طيب للمزج بين العلوم والشقافات المختلفة والاستفادة من كافة العلوم النظرية المتصلة بتخصصه، وبين الدراسة العلمية التي تخدم مجالاتها، أو بين الصحة النفسية والعلوم المساعدة لها، مما جعله يرتاد موضوعات جديدة ويهتم بالدراسات المقارنة.

وهو يعالج في هذا البحث قضية قلق الموت عند الفلسطينيين، وهي دراسة نفسية تاريخية حاول بها أن يمزج بين التجربة الفلسطينية والتوجهات النفسية لدى الفلسطينيين في صراعهم ضد الاستعمار والصهيونية العالمية، حيث عالج أولاً موضوعات تاريخية هامة مثل أهمية مدينة القدس والتأكيد على عروبتها والدفاع عن حقوق العرب في فلسطين، ومثل أهداف الصهاينة وهجراتهم وحفائهم ومزاعمهم وجهودهم في مجال الاستيطان، بهدف تهويد القدس وطمس المعالم العربية وتجريد فلسطين من هويتها الإسلامية، مستخدمين في ذلك كل وسائل الدمار والترويع والمذابح والحرب النفسية، وهو ما دفع الآثما من الفلسطينيين إلى الرحيل من الأرض المقدسة تاركين أموالهم وأراضيهم وممتلكاتهم.

ونتيجة لهذا الترويع، وهذه البربرية الصهيونية والعنصرية المتابعة والتي تأخذ أشكالاً ونماذج شتى تسببت في النهاية في إيجاد حالة نفسية قلقة لدى الفلسطينيين بشكل عام وأهل القدس بشكل خاص.

وقد حاول الباحث دراسة هذه الحالة التي بلورها فيما أسماه "قلق الموت في ظل الإرهاب الصهيوني" محللاً ومفسراً لدوافعها شارحاً لأهداف العمل الفدائي موضعاً آثار ذلك على المشروع الصهيوني وعلى مؤسساته الاقتصادية والعسكرية، موضعاً أهمية الجهاد بالنفس من أجل الدفاع عن الوطن وإعزاز دين الله، وأثر ذلك في نزع الأمن من نفوس الصهاينة وإدخال الرعب في قلوبهم والتأثير السيئ على الحالة المعنوية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، مما سيؤثر بطبيعة الحال على مستقبل الدولة اليهودية.

تحية تقدير للأخ محمد غالب بركات على هذا الجهد الطيب، وأرجو أن يتابع نشاطه العلمي والثقافي في مجال الصحة النفسية مارجاً بين العلوم النظرية المختلفة مستفيداً من العلوم المساعدة في خدمة أبحاثه.

والله ولي التوفيق.

**دكتور/ عادل حسن غنيم**

**أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر**

**كلية الآداب جامعة عين شمس**

## مقدمة:

الحرب هي أم الأشياء كلها، هي ملكة جميع الأشياء؛ إنها تجعل من البعض عبداً، ومن البعض الآخر أحراراً، وذلك حينما يتواجه طرفان يريد كل منهما السيطرة على الآخر مبقياً على المغلوب، لأنه بحاجة إليه، ولكونه شرطاً للتعبير عن قدرته. أما حيث لا توجد مجابهة حيث يُفنى طرف الطرف الآخر فليس ثمة حرب، بل هناك مجزرة.

وتكاد الحروب تغطي كامل مشهد التاريخ العربي، وهي في غالبيتها حروب ذات طبيعة واحدة. فهي حروب احتلال وغزو وتسلط وهيمنة من جهة القوى المعتدية على مختلف الأقطار العربية، وهي ذاتها حروب رد عدوان واستقلال وتحرير من جهة الجماهير العربية وقواها المواجهة.

وتتعرض القدس عاصمة الدولة الفلسطينية لحرب إبادة منظمة من الإسرائيليين في سلسلة من الاعتداءات على الأرض والنفس تمثلت في نكبة ١٩٤٨، ثم نكسة ١٩٦٧ وحرب ١٩٨٢، ثم الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ وبعدها انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠. فالتاريخ لم يسجل من قبل قضية تجمعت فيها الأحقاد العالمية، والمتناقضات الدولية، مثلما سجل في قضية فلسطين!!

فالصهيونية كانت تحاول استغلال كل حركة تمرُّ لإنشاء الدولة اليهودية. وكان لها ذلك في عام ١٩٤٨، أي بعد حوالي نصف قرن من المؤتمر الصهيوني الأول، كان ذلك عبر القوة العسكرية للعصابات الصهيونية مثل: الشتيرن<sup>(١)</sup>،

---

(١) منظمة عسكرية صهيونية أسسها أبراهام شتيرن، وكانت تُسمى «اليحي» ثم سُميت باسم مؤسسها بعد مقتله.

الهاجانا<sup>(١)</sup>، الأرجون<sup>(٢)</sup> وغيرها، وبدعم غير محدود من حكومة الانتداب

(١) الهاجاناه كلمة عبرية تعنى "الدفاع"، وهى منظمة عسكرية صهيونية استيطانية، أُسِّت فى القدس عام ١٩٢٠ لتحل محل منظمة الحارس. وجاء تشكيلها ثمرة نقاشات طويلة بين قيادة التجمع الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين، فكان "جابوتنسكى" صاحب فكرة تأسيس مجموعات عسكرية يهودية علنية تتعاون مع سلطات الانتداب البريطانى، بينما كان قادة اتحاد العمل يفضلون خلق قوة مسلحة غير رسمية مستقلة تماماً عن السلطات البريطانية وسرية بطبيعة الحال. وقد قُبِل فى النهاية اقتراح "إياهو جولب" بإنشاء منظمة عسكرية سرية تحت اسم "هاجاناه وعفودا" أى "الدفاع والعمل" ثم حُذفت كلمة العمل فيما بعد. وفى عام ١٩٢٩، شاركت الهاجاناه فى قمع انتفاضة العرب الفلسطينيين، وقامت بالهجوم على المساكن والممتلكات العربية ونظمت المسيرات لاستفزاز المواطنين العرب وإرهابهم. كما ساهمت فى عمليات الاستيطان، وخصوصاً بابتداع أسلوب "السور والبرج" لبناء المستوطنات الصهيونية فى يوم واحد. وبالإضافة إلى ذلك، قامت الهاجاناه منذ تأسيسها بحماية المستعمرات الصهيونية وحراستها.

(٢) الأرجون أو "إتسل" اختصاراً للعبارة العبرية "إرجون تسفاى ليومى بارتس إسرائيل" أى "المنظمة العسكرية القومية فى أرض إسرائيل" وتُعرف أيضاً باسم "الإرجون". وهى منظمة عسكرية صهيونية تأسست فى فلسطين عام ١٩٣١م من اتحاد أعضاء "الهاجاناه" الذين انشقوا على المنظمة الأم وجماعة مسلحة من "بيتار"، وكان من أبرز مؤسسيها: "روبرت بيتكر"، الذى كان أول رئيس للمنظمة "وأبراهام يتهمى سيلبر" و"موشى روزنبرج" و"دافيد رازئيل" و"يعقوب ميردور". وقد بُنيت المنظمة على أفكار "فلاديمير جابوتنسكى" عن ضرورة القوة اليهودية المسلحة لإقامة الدولة، وعن حق كل يهودى فى دخول فلسطين. وكان شعار المنظمة عبارة عن يد تمسك بندقية وقد كُتِب تحتها "هكذا فقط". وبعد قيام إسرائيل، أُدمجت المنظمة فى جيش الدفاع الإسرائيلى، بعد مقاومة من جانبها لهذا الدمج، ويُعد حزب "حירות" امتداداً لايدولوجيا المنظمة الإرهابية. وقد كرمَّ الرئيس الإسرائيلى قيادات إتسل فى نوفمبر ١٩٦٨ تقديراً لدورهم القيادى فى تأسيس دولة إسرائيل. (راجع: المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٧، ص١٠٨).

البريطاني على فلسطين (١٩٢٠ - ١٩٤٨)، وقد أدت المجازر الصهيونية إبان فترة الانتداب البريطاني على فلسطين مروراً بعام ١٩٤٨ وما تلاه من مجازر على تهجير أكثر من نصف مجموع الشعب الفلسطيني، وبذلك تغير التوزيع السكاني الفلسطيني، وبعد عام ١٩٦٧ واحتلال الجيش الإسرائيلي، للضفة والقطاع اختلقت الخارطة الديموغرافية للشعب الفلسطيني نتيجة عمليات الترانسفير الصهيونية.

إن القدس بلدة عربية إسلامية، لا نزاع في ذلك إلا نزاعاً طريقيه "عطاء من لا يملك لمن لا يستحق"، ولهذا العطاء قصته المخزية التي سطرها "جون فوستر دلاس" (١) وأودعها كتابه: "حرب أم سلام" عام ١٩٤٨ وهو عام الاعتراف بإسرائيل، فقد رمانا بالخرزى ونال من كرامة كل عربي ومسلم فقال: "وقد سرت الإشاعات بأن جيوشاً عربية كبيرة ستزحف إلى فلسطين، وتغمرها بجنود لا حصر لها، ولكن ذلك لم يحدث لسببين: الأول: أن العرب لم يكن لديهم الشجاعة الكافية للقيام بهذه المغامرة. والثاني: أن اليهود كانوا يكونون عصبية متحدة ومنظمة قوية الشكيمة. ولم يحدث ذلك أيضاً لأن الأمم المتحدة كانت قد منحت تأييدها الأدبي لفكرة إنشاء الدولة اليهودية الجديدة" (٢).

فالشعب الفلسطيني بعامة جيلاً بعد جيل يتعرض يومياً للإبادة، وسلب الإرادة، ويحاصره الموت من كل مكان، ومن الطبيعي في هذا المكان غير الآمن أن يفكر الإنسان في الموت أكثر من تفكيره في الحياة، ولكن الموت عند المقدسين ليس ذلك المجهول الذي يبيث الخوف والرغبة في النفوس، بل هو قضاء الله وقدره في أن يعيش الإنسان عمراً زائلاً في الدنيا، ثم يعيش عمراً خالداً في الآخرة، وقد تأكدت هذه الحقيقة في معارك ١٩٤٨م وما بعدها حين خرجت طلائع مؤمنة من بلاد شتى تتحرق شوقاً إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله دفاعاً عن أولى

(١) مندوب الولايات المتحدة حين ذاك.

(٢) جون دلاس، حرب أم سلام، القاهرة: العالمية للطبع والنشر.

القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي ﷺ معتقدين فى قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ (١).

وفى قول النبي ﷺ: عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله، ثم أحيأ ثم أقتل، ثم أحيأ ثم أقتل" (٢).

فمن يقاتل وهو يشعر بأن وجوده فى أرضه يسلب منه ويتززع، إنما يتغلغل بداخله شعور بعقيدته القتالية التابعة من إحساسه بعدالة القضية، فهو لن يخشى الموت، ولن يهتم لحياته فداء حرمة مقدساته، أرضه، حضارته، هويته.

إن قيام شعب اغتصب استقلاله عنوة بحرب مسلحة ضد الدولة المحتلة لن يكون بأى حال عملاً عدوانياً، بل إنها حرب عادلة نعلنها لندفع الظلم ضمناً للحق والعدل، يُرغم العدو على السلم وعدم الإيذاء وحب التسلط.

فهل دفاع الفلسطينى عن مقدساته ووجوده إرهاب، وما يمارسه الإسرائيلى من مذابح ومجازر يومية ليس إلا دفاعاً عن النفس؟! إن الغزو الصهيونى الذى استهدف اجتثاث شعب من أرضه ليس إلا تمهيداً لفرض الهيمنة الصهيونية على الأراضى العربية، وتشتيتاً للعرب والسعى إلى إفقاد حسنهم النضالى. ولكننا نناضل لعدالة ما من أجله نهب حياتنا.. لاستعادة الأرض المغتصبة.. لاسترجاع الكرامة والهوية والذاتية.

لقد كان للشعب الفلسطينى - دائماً - مواقف التى دافع فيها عن قضاياها وعن وطنه، والتى ناب فيها عن أمتة العربية والإسلامية فى الكفاح البطولى ضد

(١) سورة آل عمران: ١٤٥ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (٣٦)، ومسلم فى كتاب الإمارة برقم (١٨٧٦).

من اغتصبوا أرضه وجاثوا خلال دياره عابثين بكل المقدسات، معتدين على كل الحقوق، والأمانة تقتضى أن نذكر أن التحرك العربى لم يكن أبداً فى الفترة المعاصرة للقضية - أى منذ الحرب العالمية الأولى وحتى الآن - على المستوى المطلوب للدفاع عن الحقوق، ومواجهة القوى المعادية، فنحن إزاء صراع حضارى طرفاه الاستعمار الصهيونى الاستيطانى والعرب<sup>(١)</sup>.

فكما أن للحياة حكمة فللموت حكمة وغاية، وتكتمل الحكمتان فى اختبار الإنسان فى حياة أخرى باقية انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢) .

فحياة الفلسطينيين بعامة والمقدسيين بخاصة مليئة بالابتلاءات، ومع ذلك فحين يصبرون تكون لهم البشرى، يقول تعالى: ﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) .<sup>(٣)</sup>

وليس الصبر ضرباً من السلبية، أو استسلاماً للواقع المر، وإنما هو جهد يبذل من النفس الإنسانية، ويصعبه النهوض بالتبعات بالعزم والاجتهاد، ولا يكون الإنسان متبرماً من مواجهة الشدائد والابتلاءات بل يكون صابراً راضياً بقضاء الله، وهذا هو معنى الصبر الجميل فى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥) .<sup>(٤)</sup>

ومن ثمراته أنه يضىء الطريق لصاحبه فيعرف فى الشدائد عدوه من صديقه، ومن ثمراته عند مواجهة الأعداء النصر، يقول النبى ﷺ "واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً"<sup>(٥)</sup>.

وإذا كانت المحن تولد المنح، وتفرز الرجولة والبطولة والتضامن، وتصهر معادن الرجال، فإننا ننتظر المنحة قريباً بنصر وفتح قريب وعودة القدس الحبيب.

(١) جعفر عبد السلام (١٩٩٥). المركز القانونى الدولى لمدينة القدس. ص ١١.

(٢) سورة الملك: ٢ .

(٣) سورة البقرة: ١٥٥ .

(٤) سورة المعارج: ٥ .

(٥) رواه أحمد فى مسنده.